عن انطباعاته بعد عودته من «الاوسكار»

هاني ابو اسعد: كانت هجمة منظمة على «الجنة الان»!

لقطة من فيلم «الجنة الان»

هاني ابو اسعد

هشام نفاع*

■ من الصعب عدم التوقّف عند الحب الخاص لدى المخرج هاني أبو أسعد للناصرة، مع أن هذا الحديث معه كان هاتفيًا وقصيراً، قياسًا بما يمكن الاستطراد فيه. هنا، يصيغ كلماته عن المدينة وأهلها، أهله، بعفوية خالصة وبقوة خاصة، كأنه يستعيد شعر أحمد شوقي، الذي اعتاد إميل حبيبي التذكير به: «هَب جنة الخلد اليمن، لا شيء يعدل الوطن».

فحين سألته بأي انطباع يعود الى البلاد من حفل توزيع جوائز الأوسكار، انحصرت اجابته بالحديث عن «البلد» وعن «الأهل»، جميعهم. لم يتوقّف بالمرة عند أضواء أو نجوم الجائزة العالمية المرموقة. البلد هو النجم الأول.

أبو أسعد وقف على منصة الأوسكار، بجدارة، قادماً من مهرجانات ومحافل سينمائية من الدرجة الأولى، بفيلمه «الجنة الآن». جاء برواية سينمائية من قلب خرائب البلدة القديمة في نابلس، ووضعها في مركز الأضواء والجدل. قصة من التعقيدات والتأملات فيها، حول شابين أودى بهما الواقع الذي ينتجه الاحتلال الاسرائيلي الى الموت، الى عمليّة انتحارية. ما يشبه مصير شمشون (العبراني) الجبار.

يقول أبو أسعد، بعد أيام قليلة على وصوله: «أنا سعيد أنني في بلدي. صدقني، مهما حدث للإنسان خارج بلده فهو يظل يشعر بنوع من الضعف، لكني دائمًا أشعر بالقوة في الناصرة، بين الأهل وفي البلد. هنا، الناس يحبونك بدون شروط مسبقة. الفرق هذه المرة هو وجود شعور عام بالإنجاز الذي حققه الفيلم. يسعدني جداً أن أرى أهلي سعداء».

لقد تعرّض الفيلم الى ما يصحّ اعتباره هجمة مخططة. فكلما تدرّج صاعداً في نيل الجوائز والترحيب العالمي والنقد الايجابي، كانت ترتفع حرارة ذوي الرؤوس المغرورة في اسرائيل وخارجها. لقد نشرت الصحافة الكثير عن ضغوط سياسية تعرضت لها مؤسسة الأوسكار، عندما تم ترشيح «الجنة الآن» لجائزة أفضل فيلم اجنبي. وهنا، في البلاد، خرجت أصوات فظّة وتعليقات أسيرة المفردات الصلدة المنغلقة، كي تدّعي أن الفيلم «يمجّد الارهاب». فهذه القرية باتت «الوجبة السريعة» التي يحاول أصحاب المصالح هنا تغذية بل تسميم الرأي العام بها، في كل مرة يصطدمون بعمل بحجم «الجنة الآن»، بل أقلّ منه.

لكن مخرجه يتعامل بكثير من التعمّق مع هذه الردود، وكما عرّفها: «ردود ومواقف اطلاقية كل هدفها هو تمرير سياسات قمع».

هل كانت النتيجة، أي عدم منح الفيلم الجائزة، متوقعة بالنسبة لك، سألته. «نعم. كان هذا متوقعاً، لأنه كان في حساباتي وجود هجمة على الفيلم لا بد لها مبدئياً أن تؤثّر. لكن عليّ الاشارة الى أنه لا توجد ليّ إثباتات على مدى تأثير تلك الهجمة. فلم يتسنّ لي الاطلاع على معلومات داخلية لدى مؤسسة الجائزة. ولهذا أقول: طالما لا توجد اثباتات فلا توجد ليّ استنتاجات. مع العلم أن الضغط أسفر على الأقلّ عن تغيير اسم بلد الفيلم من فلسطين الى المناطق الفلسطينية».

مسألة تأثير الدعاية الاعلامية المخططة والضغوط السياسية على الأحكام النقدية/ المهنية في مضمار الفن، ليست وهماً. ولا هي اشتقاق من «نظرية المؤامرة» إياها. فلا يمكن حذف التشابك الظاهر والمستتر بين مركبات هذه الحلبة، بجرّة قلم. ولكن، وكأن هذا ما يلمّح اليه ابو اسعد، سيصبح الاتكاء المستديم على هذه الفرضية واحداً من ضروب الكسل والامتناع عن التجريب والتحدّي. فهو يقول: «لا أستطيع التحدّث بشكل جازم عن تلك الضغوط. رغم تأثيراتها. ومن يعلم فقد تكون لها احياناً نتائج إيجابية بالذات».. ويضيف ضاحكاً: «يعني يمكن في ناس دعموه بالجّقارة»، وكانت قافُه نصراوية بتلك الأصالة التي نعهدها بتحبّب.

هذا المخرج الفلسطيني البارع لا يفوته أن يمتدح منافسه الجنوب أفريقي الذي نال الجائزة بدلا منه. وأرجّح أن هذا يأتي من باب تضامن المقموعين/المتحدّين في الأرض. فهو يقول: «لا تنسَ أن الجائزة ذهبت لجنوب افريقيا التي أتمنى لها كل النجاح وكل الجوائز».

لنأخذ ميزان الربح والخسارة بخصوص «الجنة الآن»، قلت له، فأجاب: «حقيقة أنه لم يأخذ الجائزة هو أمر فيه خسارة. شئنا ذلك أم أبينا (ضاحكاً). لكن الى جانب هذا، فإحضار فيلم الى الأوسكار تحت اسم فلسطين هو انجاز مهم. ما ربحناه هو أن هذا تمّ رغم وجود الشعب الفلسطيني تحت الاحتلال. الفيلم جاء باسم شعب لديه كل الحق أن يكون متساوياً على الأرض. فنحن بمواجهة مجتمع مستعد بغالبيته أن يقبل بنا كعبيد، كناقصين، ولكن ليس كشريك متكافئ. لهذا، فما كسبناه هو الإثبات مجدداً أن لدينا قدرات ثقافية خرجت من لا شيء. هذا هو الدليل أنك شعب، له قدراته على ايصال الفن والوصول به الى مستويات عالية، رغم الاحتلال. في خاتمة المطاف، الفيلم هو تذكير للعالم بتلك الحقائق».

ذكّرته بما كتبته الكاتبة الاسرائيلية (المتوسّطة) عيريت لينور عن الفيلم. فقد خرج من تحت حاسوبها مقال عدائي الى حدّ الهوج، لم تخجل فيه حتى من الصاق تهمة النازية بالفيلم. سألته: هل فهمتَ شيئًا مما اوردتْ. فردّ ساخراً من إسفافها بسؤال: «إنتي فهمت؟».. ثم تابع: «أنا فهمت أنها لا تعتبر أنه يوجد لدى الفلسطينيين فنانون أصلا. فنحن بنظرها إما متطرفون أو أننا نعمل من منطلق ايديولوجي فقط، وبالتالي يصبح كل ما نقوم به دعاية لا غير. فهي لا تفهم أن للفنان الفلسطيني، كغيره، الحق في أخذ الواقع وجعله لوحة أو عملا ابداعياً سينمائياً».

وهو يقود السؤال الى سياق مفهومه السينمائي، قائلا: «من غير المعقول تناول العمل السينمائي بوصفه مجموعة من العينات والعودة بها بشكل ميكانيكي للواقع. انها (لينور) غير قادرة على فهم حقيقة أن هناك فنانين فلسطينيين بوسعهم تناول الواقع وتحويله الى ملحمة درامية، وهذه لا يفترض أن تغطّي الواقع، بل أن تعطي الجمهور مساحة وإمكانية للتفاعل مع هذا الواقع. هذا هو دور الفن. أما من لا يعتبر الفلسطيني صاحب حقّ متساوٍ فإنه يحوّل ما ينتجه فورياً الى ايديولوجي أو دعائي أو تحريضي».

أبو أسعد يتعاطى مع هذا النمط من النقد الموجّه للفيلم، كعيّنة، بوصفه كلامًا عنصريًا «لأنه يعتبر أن الفلسطيني يكره اليهودي بدمه وبثقافته، وبالتالي فهو يفعل ما يفعل، ليس نتيجة للظروف المفروضة عليه بل بدوافع قتل مطلقة. هذه الفكرة العنصرية لا تختلف عماّ كان يُقال عن اليهود وكأنهم خبثاء بالمطلق وبشكل جوهري أساسي، وهي مقولة عنصرية أحاربها، مثلما أحارب الفكرة العنصرية لدى اسرائيليين عن الفلسطينيين. فأنا أتعامل مع هذا الواقع المركّب بأدوات الفن. والسؤال الذي يجب أن يُسأل في هذا السياق هو: هل اللغة التي قدمها الفنان حملتني الى مكان جديد، وهل مكنتني من التعامل معها بطريقة راقية». اذا كان ما ورد أعلاه تناول النزعات العنصرية المنغلقة في اسرائيل، فإن المُخرج يشير بالايجاب الى كثرة من الاسرائيليين الذين تعاطوا مع الفيلم بشكل مغاير. وهو يقول رداً على سؤال حول وجود نقاط ضوء في الصورة الاسرائيلية: «إن اليهود الاسرائيليين ليسوا شخصًا واحداً طبعاً. هناك من فسّروا الفيلم بشكل فني وهذا أسعدني. هناك اسرائيليون قادرون على التفاعل المتحرر. أصلا فكل المقولات الاطلاقية العنصرية لديها هدف واحد، هو تمرير سياسات قمع».

أخيراً، سألت هاني أبو أسعد عن الخصوصية التي يراها في التكريم الذي تعدّه له بلدية الناصرة، فقال: «طبعًا هناك خصوصية كبيرة لهذا التكريم. الناصرة هي بلدي ولا أشعر بسعادة حقيقية مثلما أشعر هنا. صحيح أنك تُكرَّم خارج بلدك، ولكن أن يكون التكريم من اهل بلدك وبينهم، فهو يفوق كل تكريم آخر. لأن الاعتراف حين يأتي من الأهل هو ما يعطي الانسان السعادة الحقيقية. وهذا ما أشعر به في بلدي، في الناصرة، بكل أهلها».

لو بحثت عن البلاغ المباشر لما يقوله أبو أسعد في سياق تشعُّبات الحديث حول «الجنة الآن»، لكنت اقترحت ما يلي: إنه يعلن أن الجنّة هنا، في البلد، حيث تتفاعل الحياة بكل ما فيها. ولو استطردتُ في الفهم الحرّ لتصوّرته يوجّه ذلك البلاغ لإسرائيلي ينكر الوطن على أهله، من جهة؛ ومن الجهة الأخرى، بفرق تام، لفلسطيني هجّرته قسوة القمع نحو عملية انتحارية.. الجنة هنا.

---

* كاتب من فلسطين

أسئلة الروائيين.... وقت الرواية

الميلودي شغموم*

لماذا أكتب الرواية؟

قد يسبق هذا السؤال سؤال أعم منه: لماذا أكتب، أصلا؟

لقد حاولت، أكثر من مرة، وفي مناسبات مختلفة، أن أجيب عن هذين السؤالين من غير أن أشعر، ولو مرة واحدة، بأني قد استوفيتهما حقهما، إذ يبدوان لي، في كل الأحوال، بأنهما يحتويان على جوهر الإشكال المتعلق بحياتي كلها وأنني كلما فتحت أحدهما أكون بصدد القيام بنوع من التحليل النفسي الذي قد يستغرق العمر كله؟ وكم استمعت إلى الكثير من الزملاء والأساتذة، بإمعان وتعاطف، وهم يتحدثون في هذا الموضوع، بصدق وجد، فما زادني ذلك سوى استصعاب للأمر، ربما لأننا كلما تقدمنا في السن، في الأحوال العادية، وازددنا خبرة واحتكاكا بالناس نكتشف أن بعض الأشياء كنا نعوض صعوبتها بإرادة الشباب وجرأته.

قد أستطيع أن أقول، للقفز على السؤالين معا: إني أكتب الرواية لأني أحبها مثل أي شخص يحب الشطرنج، مثلا، أو الصيد أو القنص، لا أقل ولا أكثر!

وقد أستطيع أن أقول، لمراوغة السؤالين معا، من ناحية أخرى: أكتب الرواية، أو أي جنس آخر، كما يولد أي واحد منا ويجد نفسه، مع الوقت، قد تعلم حرفة ما ويستمر في ممارستها، كما يمارسها بقية الحرفيين الآخرين لأني أعرف، بما يكفي من اليقين، أنه لولا بعض الصدفة لما أصبح الكثيرون كتابا أو فنانين؟

مثل هذا الشخص، أي الحرفي طبعا، لن يسأله الناس (لماذا تمارس النجارة، أو الحدادة، مثلا؟) ولن يحاسبوه على معرفته، أو عدم معرفته، بالدوافع الموضوعية والذاتية، ولا عن وعيه أو عدم وعيه بأسرار صنعته، وقد يتساهلون معه في كل شيء، حتى ولو تعلق الأمر بسوء مزاجه وعدم احترامه للوقت وللمواعيد التي يضربها لهم، باستثناء أمر واحد هو إتقانه أو عدم إتقانه لمنتجاته: معلم أولا، فقط!

ومثل هذا الشخص معفى إذن من العديد من الأسئلة التي يطرحها الناس على الكاتب، أو يطرحها هو على نفسه (لمن تكتب؟ ما جدوى ما تكتب؟ ماذا تكتب وأنت تظن أنك تكتب؟ ما دورك في التنمية وفي المجتمع؟ ما موقفك مما يجري في كذا؟ الخ؟) بالرغم من أن الكاتب، في نهاية المطاف، ليس سوى حرفي يمارس صنعة ما تسمى الرواية أو المسرح و بالرغم كذلك من أنه، بعد كل أنواع المحاسبة والتقويم، لا يحاسب إلا على القيمة الفنية، أي الصنعة، في عمله، فنحن لا ننظر إلى كبار الكتاب، في نهاية الأمر، بأنهم كانوا مع هذه الحركة السياسية أو تلك، بأنهم كانوا بوهميين أو ملتزمين، ولا بأنهم كانوا جميعا على وعي تام بكل ما يكتبون، أو يعانون من عقد معينة، وإن كان مثل هذا الأمر قد يلعب ضدهم، أو لصالحهم، في الكثير من الحالات والأوقات، فإنه يظل يتضاءل بالتدريج كمعيار لتقويم الأعمال الأدبية والفنية، ولا يكون وعيهم العلمي بالعلوم المرتبطة بالرواية، مثلا، دليلا على مقدرتهم الروائية، مثلما لا تكون معرفة المرء بالعروض دليلا على كفاءة شعرية، أو مؤهلا لها، وفي بعض الحالات، التي لم تعد نادرة في زمن الناس هذا، قد يتخذ هذا الكلام، الذي غالبا ما يسمى شهادة أو تجربة، روائية، صيغ المهازل والفضائح، إن لم يكن مجرد هذيان علمي أو سلخ مفضوح لكتاب أو مقالة علمية أو استنساخ لكتاب آخرين؟؟

إني حين أسترجع بعضا من الكلام الذي سبق أن قلته، في هذه المناسبة أو تلك، عن علاقتي بالكتابة، وهو كلام صادق في وقته، أشعر بالخجل، أو الاستحياء، ودائما بالكثير من الندم على بعضه أو كله وفي أحسن الأحوال أخاطب نفسي ملتمسا لها بعض العذر: لايمكن أن أكون أنا الذي قال هذا، قد تكون المناسبة، أو الظرف، هي التي قالت ذلك! وأنا على شبه يقين من أن الكثير من الكتاب يحصل لديهم نوع من هذا الشعور ولو من حين لآخر حتى ولو كانوا صادقين في كل شيء؛ إن لبعض السياسة، ولبعض الصحافة، ولبعض القراء، ولبعض الأوهام دورا كبيرا في هذا الإفتاء أو الاعتراف! ثم إني لا أنكر أن هذه الظاهرة قد تساعد على تعلم شيء من فن الكلام، أو الجرأة عليه، كما أننا قد نتكلم لنفهم، أي نتكلم لنفهم بعد ذلك، كما لا أنسى أني بفضل ذلك الكلام نفسه أعيد اليوم ترتيب هذا القول، مترقبا أن يركبه من هو غير أهل له ليحوله إلى غير المقصود منه فأنا لا أريد منه سوى شيء من النقد الذاتي بصوت عال!

أتصور أن لمثل هذه الأسباب قلت، في البداية، بأن هذه العملية شبيهة إلى حد ما بعملية التحليل النفسي الذاتي التي قد تستغرق العمر كله، أعني أني لست مستعدا للتخلي عنها، فهي ضرورية، رغم كل الأخطاء والمبالغات، لكي أستمر في ترتيب علاقتي بالكتابة، ولو لم يأت هذا الترتيب سوى في صور أولية، أو جزئية، وحتى وهمية، وهي هامة جدا بالنسبة لمحاورة نفسي الكاتبة ومحاورة الآخرين من كتاب، وقراء، ونقاد، لكني قد أحتاج باستمرار إلى تنويع مقارباتي لها والإطلال عليها من زوايا مختلفة، إن أمكن، ونقدها قدر المستطاع.

أنا الآن أكتب الرواية منذ أواخر السبعينيات ولو أني لم أشرع في نشرها إلا في بداية الثمانينيات، فلماذا أستمر في كتابتها حتى الآن؟ وبعبارة أخرى هل هناك ضرورة ما تجعلني أستمر كاتبا للرواية أو أسباب معقولة تدفعني إلى هذا العمل وتبرر استمراري فيه؟

يبدو لي أن التلقي، أو الصدى، الطيب، مع ما صاحبه من نقد متنوع، الذي قوبلت به رواياتي الثلاث الأولى هو الذي شجعني على التفكير في كتابة رواية أخرى، ثم إني لما كتبت الروايات التالية قوبلت بدورها، مع بعض التفاوت، تقريبا بنفس التلقي المتنوع؟ لقد كان هذا التلقي ذا أهمية كبرى، وحاسمة، بالنسبة إلي، ليس لأنه كرسني كروائي ولكن لأنه خلق في نفسي قناعتين: القناعة الأولى، أني، وكيفما كان الحال، روائي، أي أستطيع أن أكتب الرواية بدليل الجوانب الإيجابية، أو القوية، فيما كتبت، حسب أغلب المتلقين... والقناعة الثانية، أني لم أكتب بعد الرواية التي تستحق بالفعل هذا الاسم، أي الرواية التي يبشرني بها التلقي والتي أنا نفسي أحلم بإنجازها، تلك التي لم يكتبها غيري بعد ولا يمكن إلا لي وحدي أن أخلقها، أعني تلك التي أخطأت جوانب منها في رواياتي السابقة، أو يكون أخطأ جوانب أخرى منها روائيو جيلي أو الروائيون الذين سبقونا!

ولهذا أشعر على الدوام بأني أحتاج إلى شكر كل من كتب عني ، أو قال في حقي، كلمة واحدة، سلبا أو إيجابا، بحثا موضوعيا أو عدوانية خالصة أو لوجه النميمة أو الغيبة.

لكل هذا أقول وأكرر، في مناسبات مختلفة، لقد منحني النقد، بجميع أنواعه، أكثر مما أستحق، أو فقط ما أستحق، أعني تلك القناعة المزدوجة التي تدفع إلى الاستمرار في البحث الروائي: استمر، إنك روائي، ولكن! وما أشبه هذه «الولكن» بـ«حتى»..!

أحيانا كثيرة أشعر بأن هذه القناعة، كمبرر ودافع، تكفيني لأستمر كاتبا ولكن ذلك الكاتب الذي كنته منذ السبعينيات، والذي كان عليه أن يقاوم بضراوة، أو بصبر جامد، مدعيا علما بلا علم، أو تواضعا كارها، مناضلا من أجل أن يجد له موقعا بين كبار وصغار ذلك الوقت، هذا الأخ الكاتب لا يكف عن سؤالي: طيب، لنفرض أن تلك القناعة، ما دامت مستمرة، تكفيك، ولنفرض معك أنك بالفعل صادق في ادعائك الخجل بخصوص الكثير من الأشياء التي قلتها، خاصة في بداياتك، وأنك بالفعل تعترف للمتلقين، وخاصة بعض النقاد، بالفضل الذي ذكرته، لنقبل منك كل ذلك، وبروح رياضية عالية، ولكن الكلام الغليظ الذي كنت تقوله حول الالتزام، والتجريب، مثلا، هل كان مجرد جهل، هل كان ادعاء، هل كان انتهازية أو وصولية، أي خارج صدق الكاتب الواعي والملتزم بكل كلمة يكتبها أو يصرح بها؟

الحقيقة أنه كان كل ذلك، وربما أكثر، ولست الوحيد الذي قال به، لقد وجدنا هذا الكلام منتشرا في مختلف المنابر والمحافل، وأغلب الكتاب، آنذاك لم يكن يقول شيئا يذكر من عنده، بمن فيهم نجوم الوقت، كنت تقرأ مثلا قصة فتواجه بسؤال كآلة تعذيب (لمن تكتب، أيها الأخ؟) أو ترسلها إلى صحيفة فتواجه بسؤال آخر ليس أقل تعذيبا أو إحباطا (مع من تكتب، أيها الرفيق؟) أو بسوط سلفي (أيها البورجوازي الصغير!) وكان أقلنا انتهازية يسرق صوت شاعر ثائر أو يقلد نزار قباني ما قبل نكسة 1967 في قصيدة يختمها بـ«يا وطني» فتهتز له المحافل وتسير بذكره الركبان. زمن جميل؟؟ زمن بريء؟ زمن عنيف، مرعب، متقاتل؟ فكيف لا يصبح الكاتب ثوريا وملتزما، لا يكتب إلا للجماهير إذا أراد أن يكون له موقع فيه، وسط رفاق متحمسين ورفيقات متحررات؟

باختصار، لكل وقت معجمه الخاص وتحالفاته المتميزة، وحيله وأساليبه، وأوهامه، وأوجاعه، وليس ينفع أن يندم المرء على سوء فهم أو قصور في الوعي أو حماس زائد أو حقيقة كان يراها في الأرض وهي في السماء، أي على مبالغاته أو أوهامه، فالبدايات من لا شيء، وحتى في أكبر الثورات، لا تخلو دائما من بعض الفضائح، ولكن هذا الزمن قد علمنا، أو تعلمنا فيه، أشياء عظيمة القيمة: تعلمنا، مثلا، كيف ينبغي أن يرتبط الأدب بالإنسان، بالرغم من أننا لم نكن نراه سوى في جهة واحدة، ومن زاوية فريدة، وتعلمنا أن نفكر في الحاضر ونحن نتوجه إلى المستقبل، ولو لم يكن ذلك إلا من زاوية رؤية وحيدة، أي تعلمنا ما يسميه الكل، اليوم، الحداثة ويبالغ فيه البعض متحمسا حتى يسميه ما بعد الحداثة!

لهذا لا أجد أي حرج لأقول اليوم، ومن خارج إلزامات ما هو روائي أو بارتباط معه، إني أستمر في كتابة الرواية للمساهمة في شيئين، على الأقل، يرتبطان بالحداثة في ثقافتي كمغربي، والرواية نفسها، لا ينبغي أن ننسى هذا، جنس حداثي، تاريخيا ومبدئيا:

أولا، الاشتغال في أي مجال فني اشتغال على وجدان الثقافة، أو المجتمع، التي نعيش فيها ونكتب بلغتها، أي على تجمع تجارب اللذة والألم المشتركة في تلك الثقافة، والاشتغال على هذا الوجدان بواسطة جنس فني حديث، وانطلاقا من الحاضر والتوجه إلى المستقبل، تطوير للإنسان في هذا المجتمع، أي لكيف الحياة في هذا المجتمع وبخاصة الذوق، أعني ما يمنح الإنسان نوعية أو وجودا أغنى في الحياة ويربطه ببقية الإنسانية في مختلف الأزمنة والأمكنة؟

ثانيا، الاشتغال على الوجدان والاشتغال بالوجدان اشتغال كذلك على وبأدوات ومواد خاصة في مقدمتها اللغة، والذاكرة، والخيال، فتكون الرواية بهذا نوعا من المساهمة في إغناء، أو إثراء، كيف الحياة في هذه الثقافة، مثلها في ذلك مثل السينما بالخصوص.

ليست كل الروايات تسير، بطبيعة الحال، في هذا الاتجاه وتخدم نفس الغرض، فالعديد من الروايات، كالعديد من الأفلام، قد تستغل في أمور ضد روح الرواية وأصلها، غير أن الروائي الحقيقي لا يمكن أن يصدر إلا عن هذه الروح ويكون في خدمتها، ثم إن كثرة مثل هذا الإنتاج الروائي الغث لا ينبغي أن تعلمنا التعالي والعجرفة ولكن التواضع وحسن الاستماع، وعلى سبيل المثال فإن شأن الرواية لا يعنينا وحدنا، نحن الكتاب، كما لا يعنينا وحدنا ضعف النشر والقراءة، لكن مثل هذه الوقائع دليل على أن زمن الرواية ليس الآن، هو وقت الرواية حقا ولكن زمنها ما زال بعيدا، ومن يدري فقد ينقلب الوقت، وهو يتسارع، أو يتباطأ، فلا يأتي زمن الرواية إلا في هذا الوقت كما يعيشه الروائيون والنقاد وحدهم. لكل ذلك أستمر في كتابة الرواية مستمعا إلى نفسي، مترقبا أقلام زملائي من الروائيين والنقاد، كمن لا يستطيع أن يدخل إلى حلبة السباق وحده، إلا للتدريب، وليس للإنجاز، حاملا سؤالا وحيدا لا غير: أين زمن الرواية في ما نكتب وهل اقتربنا، في هذا الوقت بالذات، من ذلك المثال الذي نتنافس جميعا في المساهمة في صنعه؟

ذلك بعض مما أسميه أسئلة الروائيين في وقت الرواية وهي أسئلة قد تلتقي مع أسئلة الدارسين لكن بعضها لا يمكن أن يطرحه إلا الروائيون ناهيك عن أن كل روائي قد تكون له أسئلته الخاصة. في هذا السياق، وبهذه الروح، قد أمارس نقدي الذاتي لما أكتب. أما أن أكون قد ندمت على كتابة رواية من رواياتي أو أن أخجل من نشر إحداها فهذا ما لم يحدث قط!

---

* روائي من المغرب

■ قدمت هذه الورقة في ندوة الرواية المغاربية التي نظمت في إطار أنشطة المعرض الدولي الثاني عشر للكتاب بالدار البيضاء

«غير صالح للعرض» محاولة لاعادة الحياة الى صناعة السينما العراقية

■ بغداد ـ (اف ب): يعكس الفيلم العراقي الجديد «غير صالح للعرض» الذي يحمل الرقم 100 في تاريخ صناعة السينما المحلية رغبة المهتمين في اعادة الروح الى هذه الصناعة تمهيدا لعودتها الى الساحة الفنية مجددا بعد غياب اكثر من 15 عاما.

وشارك «غير صالح للعرض» في مهرجان سنغافورة للافلام الاسيوية حيث نال اهتمام النقاد الذين منحوه احدى جوائز المهرجان لجرأة طرحه وتأكيده مضامين انسانية تعكس رغبة مخرجه الشاب عدي رشيد في نقل المعاناة اليومية للعراقيين بمواجهة العنف السائد.

وتم ارجاء عرض الفيلم اكثر من مرة في صالات بغداد بسبب انعدام الامن في العاصمة، ما دفع دائرة السينما والمسرح التابعة لوزارة الثقافة الى تنظيم عرض خاص للفيلم في قاعة المسرح الوطني امام النقاد والمهتمين بشوؤن الفن السابع.

وقال مدير عام دائرة السينما والمسرح رياض عبد الحافظ «يمكن اعتبار الفيلم خطوة مهمة لانطلاق صناعة الفيلم العراقي مجددا رغم الامكانات المتواضعة التي انتج بها هذا الشريط من قبل المخرج».

واضاف» نأمل ان تساهم مثل هذه العروض في بناء حياة جديدة مستقرة ومؤثرة».

يشار الى ان «غير صالح للعرض» هو اول فيلم عراقي يتم انتاجه وتصويره في بغداد بعد سقوط النظام السابق، واشتركت في تأدية ادواره نخبة من الفنانين العراقيين في مقدمهم الفنان يوسف العاني والفنانة عواطف السلمان.

وتعمد مخرج الفيلم اسناد ادوار اخرى لمجموعة من الفنانين الشباب نظرا لرغبته في صهر خبرة الرواد مع تطلعات الشباب.

ودعا عبد الحافظ المسؤولين العراقيين الى الاهتمام بصناعة السينما لما تمتلكه من دور بارز ومؤثر في صياغة حياة الشعوب وبناء الحياة.

وتعد فترة الستينات البداية الحقيقية لصناعة السينما في العراق حيث تم انتاج فيلم «الجابي» (عام 1965) لمصلحة دائرة السينما والمسرح، وكذلك فيلم «المنعطف» للكاتب غائب طعمة فرمان عن روايته «خمسة اصوات» واخرجهما الراحل جعفر علي احد مؤسسي صناعة السينما في العراق.

وكان عدد من المهتمين في صناعة السينما من العراقيين المقيمين في الخارج قدموا تجارب سينمائية بسيطة بعد سقوط بغداد في التاسع من نيسان/ابريل 2003 منها الفيلم «كيلومتر صفر» للفنان الكردي المقيم في فرنسا هونر سليم.

ويروي الفيلم قصة شاب كردي يساق الى جبهات القتال اثناء فترة الحرب العراقية الايرانية 1980ـ1988.

وتواجه صناعة السينما العراقية في هذه المرحلة مصاعب فنية وتقنية نتيجة الاضرار التي لحقت بدائرة السينما والمسرح اثناء المتغيرات التي اجتاحت البلاد عام 2003 وتعرضها الى اعمال النهب والتخريب.

وتابع عبد الحافظ «لقد فقدنا اهم مختبر لتلوين الافلام تقدر تكاليفه باكثر من مليون دولار فضلا عن سرقة العديد من الاجهزة التقنية المهمة التي تدخل في صناعة الفيلم، مما يجعلنا الان نستعين بمعدات متواضعة».

وتستعد دائرة السينما والمسرح لاقامة مؤتمر لتفعيل دور مسرح الطفل في 11 نيسان/ابريل الجاري يتم خلاله عرض اول فيلم للاطفال يتناول تأثير الارهاب على نفسيتهم وسلوكهم.

كما تعتزم الدائرة تكريم عدد من الفنانين المسرحيين تثمينا لدورهم البارز في العملية المسرحية بينهم الراحلان طعمة التميمي واحمد فياض المفرجي اضافة الى الفنانين خليل الرفاعي وشكري العقيدي والفنانة ازاد واهي صموئيل.

لقطة من فيلم «كيلومتر صفر»